أرز الجنوب

للشيخ بشير جنبلاط ـ المنتصر للامير بشير الشهابي ومحمد علي باشا الكبير ـ قصر في (المختارة) من لبنان الجنوبي، مطل على غابات من شجر الارز، يترقرق بينها ماء نبع الباروك الذي أوصله صاحب القصر نفسه الى قرية (المختارة). وقد زار خليل بك مطران هذه البقاع في الصيف الماضي فألهمته ذكريات تاريخ قصرها، ومحاسن الطبيعة فيها، قصيدة كعقد الجوهر، انتظمت فيه هذه الدرر:

أرزَ الجنوب أسلمْ عزيزَ الجانبِ   وابقَ الدُّهورَ وأنت أبقى صاحبِ
اللهَ في أدواحك النضرِ التي   تَرِدُ المَعينَ من الجماد الناضبِ
أوَ تُرضِعُ الأنداءَ مما أقبلت   تُروي العطاشَ به صدورُ سحائبِ
التاجُ فوقَ التاجِ من أغصانها   حتى تُرصّعه العُلى بكواكبِ
والنورُ في أوراقها متخلّلٌ   يصفو ذروراً في عيون الراقبِ
ولربّما غشيَ الضبابُ رءوسَها   فتُرى مُلفّعةً ببيضِ غياهبِ
أرزٌ تراه كباذخ الابراج إن   تنظرْ اليه من مدًى متقاربِ
واذا بعدتَ رأيتَ شاماتٍ على   خدٍّ كُميتٍ لونُه أو شاحبِ
أعززْ به وبجيرةٍ حفّوا به   سُمَحاءَ أهلِ مفاخرٍ ومناقبِ
هم بالحميّةِ خيرُ من يرجو الحمى   لسداد خَلاّتٍ ودرءِ نوائبِ
بُسلاءُ إن تدعُ الحفيظةَ لم تجد   في الحيّ غيرَ الشمّريّ الواثبِ
صُوّامُ ألسنةٍ عن القول الخنا   قُوّامُ أفئدةٍ لفعل الواجبِ
إن أزمعوا لم يرجعوا، أو صمّموا   بلغوا النجاح، وما لووا بمصاعبِ
إني صدقتهمُ المديحَ بما بهم   وأقولُ شرُّ الشعرِ شعرُ الكاذبِ

خليل مطران